

## التفاعل الصفّي بين مد العنف التواصلي ومتطلبات الإدارة الصفّية الناجعة تلاميذ المرحلة المتوسطة من التعليم في الجزائر أنموذجا

الأستاذ: إبراهيم هياق-جامعة بسكرة.

**مقدمة:** إن تنامي ظاهرة العنف المدرسي في المؤسسة التربوية الجزائرية، في الآونة الأخيرة وخاصة في المرحلة المتوسطة، والتي تعتبر حلقة وصل هامة في حياة التلميذ بين مرحلة الطفولة، بما تزخر به من مُثُل وقيم وتصورات جميلة عن الواقع الاجتماعي، ومرحلة البلوغ والنضج العقلي للفرد وإدراكه لواقعه الاجتماعي، بكل تناقضاته مضافا إليه النمو الفسيولوجي والتغيرات المرافقة له خاصة الجنسية منها، ففي هذه المرحلة والتي تعتبر مرحلة للتدفق الغريزي الجامح للذات، التي ترفض كل عوامل المنع والكبح سواء كانت عوامل داخلية أم خارجية، مما يولد لدى هذه الفئة من الناشئة ردود أفعال متفاوتة الأثر، حسب المؤثرات التي يتعرض لها المراهق.

والتلميذ في هذه المرحلة هو في أمس الحاجة لتقديم يد المساعدة لتجاوز تداعيات هذه المرحلة، والوصول إلى حالة التوازن النفسي والاجتماعي، وذلك بفهم الحالة التي يكون عليها فهما صحيحا، رغبة في تقديم المساعدة اللازمة في الوقت المناسب أكثر من حاجته للردع، ومحاولة تغيير سلوكياته بما يتماشى مع ما يراه الراشدون بوسائل عنيفة ماديا أو معنويا، وأمام تنامي ظاهرة العنف في الوسط المدرسي وخاصة ما تعلق منه بعملية الضبط والتحكم في إدارة الفصل، يقع على الأستاذ جانب كبير من هذه العملية بتدخلاته، لضبط ردود الأفعال وتوجيه هذه الطاقة الكامنة في مصارف إيجابية، بالتصدي لحالة التمرد بوعي أكبر للمتغيرات الحاصلة من جيل لآخر، لضمان إدارة صفية ناجعة تمكن الأستاذ من بلوغ أهدافه المنشودة، وتضمن من جهة أخرى للتلميذ حقوقه في التعبير عن نفسه والمشاركة في عملية التفاعل الصفّي بنجاح.

### 1- التحديد المفهومي للعنف المدرسي وأشكاله

**1-1- مفهوم العنف المدرسي:** إن مفهوم العنف المدرسي وإن تعددت الجهات التي لها علاقة بدراسة هذا الموضوع، من علم النفس إلى الاجتماع إلى علوم التربية، فكل علم ينظر للعنف المدرسي من الزاوية التي يؤسس نظريا لها وللفاعلين فيه، تارة يُنظر للتلميذ كعنصر فاعل في العملية، فالعنف هو كل سلوك يمارسه التلميذ في مدرسته

سواء ضد زملائه أم أساتذته أم ضد ممتلكات المدرسة والقائمين عليها وهو ومظهر من مظاهر سوء التكيف المدرسي<sup>1</sup>، في حين يرى فريق آخر أن العنف المسجل يشمل أيضا الفاعلين في الوسط التربوي بكل عناصره من طاقم تربوي وإداري يشرف على التسيير الإداري والتربوي للمؤسسات التعليمية، والذي قد يساهم بشكل أو بآخر في تنامي هذه الظاهرة، ورغم التباين بينها في تحديد مفهوم للعنف المدرسي، إلا أنها تُجمع كلها حول مفهوم جامع مانع يحدد معنى لهذا العنف المسجل في الوسط التربوي، فالعنف المدرسي هو الخروج عن القواعد المألوفة في تنظيم وتسيير الوسط المدرسي، مؤديا إلى عرقلة السير الحسن للمؤسسة مما ينعكس سلبا على التحصيل الدراسي للتلاميذ، وكل خروج عن هذا المألوف يعد عنفا مهما كان الطرف المتسبب فيه سواء تعلق الأمر بالتلاميذ والطلاب، أو المدرسين أو الإدارة وطاقمها المشرف على تسيير المؤسسة التعليمية.

**1-2- أشكال العنف المدرسي:** تتعدد أشكال العنف المدرسي المسجل في المجال التربوي للمدرسة، بحيث نسجل مجموعة من الأشكال للعنف وإن كانت لا تختلف كثيرا عن العنف المسجل خارجها، إلا أن للمدرسة خصوصيتها التي يصطبغ بها هذا النوع من العنف وأثر ذلك على الناشئة والطلاب. ومن أهم أشكال العنف التي لها علاقة بالتفاعل الصفي في الوسط المدرسي والتي نوردتها كما يلي:

**أ- العنف الجسدي (مادي):** من أشهر أنواع العنف المستخدم ويكون الجسد المتلقي الأول للفعل المتعمد بغية إلحاق الضرر البدني باستخدام وسائل شتى لتحقيق ذلك، ومن أمثلة ذلك الضرب والركل، التخريب واستخدام أدوات صلبة لتحقيق أقصى درجات الأذى، وغالبا ما يرافق ذلك موجات من الغضب تجاه مصدر العدوان والعنف<sup>2</sup>، ولجوء المربي إلى استخدام هذا النوع من الردع يدل على ضعف التحكم والضبط في صيرورة الدرس لدى المربي، وبالتالي قتل الرغبة لدى التلميذ في التواصل مع مُدرسه من جهة وزملائه من جهة ثانية، ويصبح همه الوحيد هو كيف يتخلص من هذه الحصة، التي قد تساهم في كل مرة في توسيع الهوة بينه وبين ممارسة حقه الطبيعي في المعرفة وفق قواعد وأسس علمية ومنهجية.

تباني خديجة وآخرون، الأسرة والمدرسة، سوء التكيف المدرسي بين الإشكالية والواقع، دار قرطبة للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004، ط1، ص78. <sup>1</sup>

يحي خولة أحمد، الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار الفكر، عمان (الأردن)، 2001، ط1، ص181. <sup>2</sup>

ب- **العنف النفسي (معنوي):** ويستهدف هذا النوع من العنف الجانب النفسي من الذات، فاستعمال أساليب معينة في التعامل أو ألفاظ خاصة كالشتيم أو ذكر بعض العيوب الخلقية لدى التلميذ أو التخويف والترهيب والاستهزاء يمكنها أن تمس بكرامة التلميذ أو تعرضه للسخرية من طرف زملائه، يكون لها بالغ الأثر السيئ على نفسية التلميذ، يمكن أن تؤدي به إلى الابتعاد عن المشاركة في التفاعل الصفّي منطويًا على نفسه، رافضًا كل شكل من أشكال التواصل مع زملائه، فهي أيضًا شكل آخر من أشكال الردع التي قد يلجأ إليها المربون في غياب تكوين جاد في مجال علم النفس والاجتماع، يُطلع من خلالهما المربي على الآثار السلبية التي يمكن أن تترتب عن اللجوء لهذا النوع من الردع، كما تزودهم بأحدث الأساليب المتبعة في عملية ضبط وإدارة الصف.

ج- **العنف التواصلّي:** ويعتبر عنفاً مسكوتاً عنه حيث يُركز جُل المهتمين بالشأن التربوي على مشكلة العنف في الوسط التربوي على الآثار المادية والمعنوية المترتبة عن ممارسة العنف داخل المؤسسة التربوية، برصد العنف البدني وآثاره وكذلك الشأن بالنسبة للعنف النفسي، نظرًا لسهولة إثبات هذه الظواهر على الواقع الميداني، غير أن العنف التواصلّي هنا نقصد به استمرارية ممارسة العنف على التلاميذ من خلال جملة من السلوكيات التي تحدث داخل الفصل ليس بالضرورة متعلقة بضرب التلاميذ ولا باستعمال ألفاظ غير لائقة، بل بعدم القدرة على إقامة تواصل جيد داخل حجرة الصف بين التلاميذ وأستاذهم من جهة وبين بعضهم البعض من جهة أخرى، من خلال مجموعة من الأعمال المادية والمعنوية، فهو عنفاً متواصلًا في الزمان والمكان، يتعلق بالإطار الفيزيقي لحجرة الدرس وما يدور فيها من أشكال للتفاعل تمكن الطالب من التعبير عن ذاته بكل حرية بعيدًا عن أي قهر أو تسلط، وإبداء رأيه تجاه ما يعرض عليه من إشكالات علمية ينبغي أن يساهم في حلها، لا أن يتحول إلى شبه وعاء مفرغ من محتواه وعليه فقط استقبال ما يرد إليه، وتعطيل كل أدوات الإرسال وبالتالي يصبح في عزلة عن محيطه وبالتدرّج يتسرب إلى نفسه الشعور بالملل، وعدم جدوى مشاركته في عملية التفاعل الصفّي ما دام ليس لرأيه مكان، "التأثيرات السلبية التي يتعرض لها التلميذ أثناء الفعل التعليمي وأثناء تواصله داخل الفصل مع التلاميذ أو مع الأستاذ، داخل المؤسسات التعليمية فالغالب على طرق

التدريس التقليدي في العالم غياب الحوار بين العناصر المكونة للمنظومة التعليمية، إذ يصبح اللا حوار عنف تواصلية يعني أن التلميذ لا يستطيع التعبير عن أفكاره وأطروحاته وتصورات، مما يجعل من الصعب عليه تقبل الآخر (الأستاذ أو الإدارة)، مما يزيد في نقشي هذا السلوك داخل الفصل الدراسي هو ضيق الوقت، وكذلك الكم على مستوى المناهج والمقررات الدراسية<sup>3</sup>. ومن هنا تبدأ الخطوة الأولى في التعبير عن رفضه لهذا العنف المتواصل تجاه شخصيته، وعليه الرد بالمثل وأحيانا بأشد قسوة فيكون الأستاذ هنا في أتون المشكلة التي أحيانا يكون لا ذنب له فيها، وإنما عليه التفاعل مع والبحث لها عن حلول قد تكون في أحيان كثيرة غير مجدية، إما لعدم قدرته على الحل ذاتيا لنقص في التكوين أو خارجة عن نطاقه كالاكتظاظ مثلا أو النقص في المستوى العلمي لدى الطلاب، خاصة في مجال تعليم اللغات الأجنبية.

**2- الإدارة الصفية:** تعتبر الإدارة الصفية من المصطلحات التي تلقى رواجاً واستعمالاً كبيراً في مجال الدراسات التربوية، نظراً لأهمية هذا المصطلح في تحسين عملية التفاعل الصفية، للوصول بالعملية التربوية من خلال عملية التحصيل الدراسي لغاياتها المنشودة، فكانت ولادة هذا المصطلح من رحم الأحداث التي تتفاعل فيما بينها ضمن الإطار الكلي لمفردات الوسط التربوي، سواء كانت مادية أو بشرية.

**2-1- مفهوم الإدارة الصفية:** إن الإدارة الصفية هي مُحصلة جملة من العمليات التي تحدث داخل حجرة الدرس، والتي ترتبط مع بعضها البعض في تكامل من أجل تحقيق الأهداف المعدة سلفاً، رغبة في تحقيق تحصيل دراسي جيد يشكل الأستاذ محورها الأساسي، حيث يعمل على إدارة الفصل لتحقيق ما سبق الإشارة إليه مستعملاً كفاءته الشخصية، من خلال معارفه ومكتسباته المهنية فهي "كل ما يقوم به المعلم داخل غرفة الصف من سلوكيات، سواء كانت لفظية أو عملية مباشرة أو غير مباشرة بحيث تحقق بلوغ الأهداف التعليمية المرسومة، كي يحدث في النهاية تغير مرغوب فيه في سلوك الطلبة، عن طريق إكسابهم معارف ومفاهيم ومهارات وعادات جديدة، تعمل على مساعدتهم في الحياة العملية، وتصلق شخصياتهم ومواهبهم"<sup>4</sup>.

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=111993>.

<sup>3</sup> عدنان الكونني، العنف المدرسي، الحوار المتمدن، عدد 2067، السنة: 2007.  
<sup>4</sup> حسن عمر منسي، إدارة الصفوف، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ط2، ص13.

كما يشير مفهوم إدارة الصف أيضا للأهداف الإجرائية التي يتم تحديدها من طرف المعلم قبل الشروع في العملية التعليمية، من أجل توحيد وجهة كل الجهود من أجل القيام بأنشطة صفية ناجعة، تمكنه في الأخير من توفير المناخ الملائم لإحداث التغيير المرغوب فيه على كافة المستويات في صقل وتنمية مهارات وكفاءات تلاميذه. ولتحقيق إدارة صفية ناجعة تعددت المداخل وفقا للفلسفة التربوية التي تنظر لعملية التفاعل الصفية نوجزها فيما يلي:

- **المدخل التسلطي أو الإدارة التسلطية:** والتي يضطلع فيها المعلم بالدور الأساسي، من خلال سلطة رمزية يستمدّها من كونه الأكبر سنا والأكثر خبرة<sup>5</sup>، وعلى الجميع الامتثال لأوامره وكل مخالف لذلك يعرض نفسه للعقوبة.

- **المدخل المتسامح:** ويرى أصحابه أنه من الضروري أن يتمتع الطالب بقدر كبير من الحرية في الفصل، وأن ترفع عنه الكثير من القيود في علاقته بالمدرسين وزملائه، أثناء التفاعل الصفية حفاظا على نموه الطبيعي<sup>6</sup>

- **المدخل السلوكي:** ويرى أصحابه أن سلوكيات التلاميذ قابلة للتغيير، وبالتالي فمراقبة سلوكيات الطلبة ودراستها بحيث يتم تعزيز المرغوب فيها من خلال تشجيع التلاميذ على اكتسابها، والتخلص من الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها.

- **المدخل الاجتماعي:** ويرى أصحاب هذا المدخل أن الفصل يعتبر بيئة اجتماعية مصغرة للمجتمع الكبير، وبالتالي يمكننا الاستثمار في هذا البيئة بتنمية العلاقات الاجتماعية داخل الفصل، مما ينعكس إيجابا على عملية التفاعل الصفية، حيث كلما كانت العلاقات الاجتماعية جيدة كان التواصل ممتازا.

**2-2 خصائص الإدارة الصفية:** إن لكل إدارة خصائصها المميزة إلا أن الميزة المشتركة بينها السعي نحو تحقيق أهداف هذه الإدارة، بأفضل النتائج مع الاختصار في الجهد والتكاليف، والإدارة الصفية لها مميزات تنفرد بها وتميزها عن غيرها من الإدارات نوجزها في مايلي:

أ- شاملة لكل مفردات البيئة المدرسية فالإدارة الصفية وإن بدت للوهلة الأولى مرتبطة بما يحدث بين جدران الحجرة الدراسية، إلا أن أذرعها الأخطبوطية تمتد إلى

<sup>5</sup> حسن عمر منسي، المرجع السابق، ص27.  
<sup>6</sup> يوسف قطامي ونايفة قطامي، إدارة الصفوف، الأسس السيكولوجية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الأردن، 2005، ط1، ص16.

كل المحيط المدرسي بما يحتويه من عناصر بشرية ممثلة في التلاميذ والطلاب، والطاقم التربوي والإداري من أساتذة ومدير المؤسسة ومستشاري التربية والمساعدین التربويين وأولياء الأمور، وعناصر مادية متمثلة في المنهاج الدراسي والوسائل التعليمية، ومكونات الحجرة الدراسية، فهي تعتمد في بلوغ أهدافها على أكثر من جهة وعلى أكثر من صعيد.<sup>7</sup>

ب- ضرورة توفر قدر مقبول من العلاقات الإنسانية في هذه الإدارة، على خلاف غيرها من الإدارات فتمتية الجانب الإنساني ضروري لنجاح العملية التعليمية، فالمعلم من واجبة تنمية الشعور بضرورة العلاقات الإنسانية وتفعيلها في الوسط الطلابي خلال ممارسته لإدارة الصف، فمثل هذه العلاقات الإنسانية ضرورة حتمية ولا يمكن الاستغناء عنها في الإدارة الصفية.<sup>8</sup>

كلما أحس الطلاب بعمق العلاقة الإنسانية بينهم وبين أساتذهم من جهة، وبين بعضهم البعض إلا انعكس ذلك إيجاباً على قبولهم الاندماج في عملية التفاعل الصفی، وصاروا في وضع أكثر مرونة لتقبل إحياءات معلمهم لإحداث التغيير المطلوب.

ت- صعوبة القياس والتقويم: فالإدارة الصفية ونتيجة لتعامل الأستاذ مع فئة بشرية تتميز بنمو متسارع وقدرة عالية على التأثر بمن حوله، لذلك يصبح الأستاذ غير قادر على القيام بالعملية التقويمية، من قياس لمدى حدوث تغيير في سلوكيات طلابه بصورة صحيحة، نظراً لما سلف ذكره مضافاً لذلك أن من طبيعة العملية التربوية لا تظهر نتائجها في حينها بل قد يستغرق الأمر مدة معينة مما يُصعب من عملية تقييم التغيير والتنبؤ بما سيكون عليه الموقف بعد حين، فالتحكم في آليات التقويم ومناهجه المتبعة ضرورة أكيدة، لكل أستاذ يرغب في تحقيق نتائج جيدة في التحكم في إدارة صفه، وبدونها يزداد الوضع صعوبة.

ث- المعلم هو المحور الأساسي في الإدارة الصفية، لذلك فإعداده وتكوينه العلمي ومؤهلاته العملية مضافاً لها الخبرة التي يكتسبها في الميدان التربوي، وباحثا كاه مع زملائه في المهنة كلها يجب أن تكون حاضرة في إدارته للصف، نظراً لخصوصية المكان والمواقف التي يتعرض لها، فهو يشرف على عملية جد معقدة ليست مقتصرة

محمد عبد الرحيم عدس، الإدارة الصفية والمدرسة المنفردة، دار مجدلاوي للنشر، عمان (الأردن)، 1999، ط2، ص12. 7  
حسن عمر منسي، مرجع سابق، ص14. 8

على التكوين في المجال المعرفي فقط، بل تتعداه لجوانب وجدانية وأخرى حس حركية فالتلاميذ بنية معقدة ذات أبعاد متعددة للنفس البشرية، وعملية صقلها وتنمية مهاراتها ومواهبها من أعقد الأمور، إن لم يكن كفوًا في إدارته للصف جاءت النتائج كلها عكس الأهداف المتوخاة من العملية التعليمية.

2-3 أهمية الإدارة الصفية: إن التعليم الناجح يتطلب تخطيطًا محكمًا ودقيقًا للعملية التعليمية ولا يمكن أن يحقق التخطيط هذا أهدافه المنشودة، إذا لم يدعم بقدر من الضبط الذي يمكنه من ذلك، هذا الضبط لا يكون فعالًا إذا لم يصاغ في شكل إستراتيجية، تكون بمثابة الميثاق الذي يؤسس لجملة من القواعد لا يمكن التخلي عنها لتحقيق تعلم فعال، ومن هنا تتجلى أهمية الإدارة الصفية في تحقيق جملة من المهمات، كما يرى محمود شفيق وزميلته أن مفهوم إدارة التعليم يمكن أن يتضمن المهمات التالية:<sup>9</sup>

- حفظ النظام
  - توفير المناخ العاطفي والاجتماعي الذي يشجع على التعلم.
  - تنظيم البيئة غير الفيزيقية للتعلم.
  - توفير الخبرات التعليمية وتنظيمها وتوجيهها.
  - ملاحظة الطلبة ومتابعة تقدمهم.
  - تقديم تقارير عن تقدم العمل وحفظ الملفات والتسجيلات.
- فالإدارة الصفية تتضمن جملة من العمليات الأساسية، لضمان إدارة صفية ناجعة تضمن تحصيلًا دراسيًا فعالًا، وتقضي من خلال الإستراتيجية المتبعة على كل أسباب الإخفاق التي يمكن أن تعرقل عملية التفاعل الصفية، بالتعاون والتنسيق بين الشق التربوي والإداري في العملية ضروري للمتابعة والتوجيه، ومن ثم التدخل الفعال والسريع لمحاصرة أي ظاهرة قد تُخل بالسير الحسن للعملية التعليمية.

2-4 معوقات الإدارة الصفية: إن تحقيق أهداف الإدارة الصفية لضمان تعليم فعال وتحصيل دراسي جيد، يتطلب تدليل كل العقبات والصعوبات التي من الممكن أن تعيق السير الحسن لعملية التفاعل الصفية، لذلك كان لزامًا على الباحثين والمهتمين بالشأن التربوي، حصر المعوقات التي تحد من فعالية التفاعل الصفية، وإخضاعها

<sup>9</sup> يوسف قطامي ونايفة قطامي، مرجع سابق، ص15.

للدراسة والتحليل بغية وضع حلولاً جذرية لها أو على الأقل التخفيف من آثارها على عملية التفاعل الصفّي، ويمكننا أن نقسم هذه المعوقات إلى:

#### أ- المعوقات الإدارية:

- يمكن حصر أهم المعوقات الإدارية لعملية التفاعل الصفّي فيما يلي:
- العلاقة السلبية بين الطاقم الإداري والتربوي، وصعوبة التواصل الجيد وبينهما.
- قلة الوسائل التعليمية وانعدامها في بعض الحالات.
- حالة المباني التعليمية ومستوى تجهيزها.
- الاكتظاظ داخل الأقسام التعليمية مما يصعب من مهمة الأساتذة في التحكم والضبط.
- استقرار الطاقم التربوي في المؤسسة ودوره في فهم الحالة النفسية والاجتماعية للتلاميذ.
- ضعف الإرشاد والتوجيه النفسي والاجتماعي في بعض المؤسسات وانعدامه في أحيان كثيرة.
- تقصير الإدارة في القيام بمهمة التوجيه والتوعية في صفوف التلاميذ بضرورة احترام النظام والانضباط داخل محيط المؤسسة.

#### ب- المعوقات التعليمية:

- يمكن حصر أهم المعوقات التعليمية لعملية التفاعل الصفّي فيما يلي:
- كيفية إعداد المناهج الدراسية:
- يجب أن تكون المناهج الدراسية حديثة تراعي الجوانب المعرفية والسلوكية والوجدانية للتلاميذ، وتعمل على تنمية هذه الجوانب بشكل منسق دون إغفال جانب عن آخر، حرصاً على تكوين شخصية التلاميذ تكويناً سويّاً.
- ضعف الدافعية لدى التلاميذ:
- يجب البحث في السبل والوسائل الكفيلة برفع دافعية التلاميذ في التحصيل الدراسي، والعمل على الحد من كل المسببات التي تقلل من هذه الدافعية.
- النمط التعليمي المتبع مع الطلبة فكما كان المعلم أكثر تسلطاً كلما نفر التلاميذ من التواصل معه، خاصة عند استعماله لعبارة نابية ومهينة في التخاطب مع تلاميذه.



• ضعف شخصية المعلم في إدارة الصف، كلما أحس التلاميذ بعدم قدرة المعلم على اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب، انعكس ذلك سلبا على قدرته على الضبط والتحكم.

• درجة تحكم المعلم في تطبيق أدوات التقييم (تشخيصي، تكويني، تحصيلي).

• تكليف المعلم في بعض الأحيان بتدريس مواد غير مؤهل لتدريسها.

• ضعف العوامل التحفيزية للأساتذة والطلاب وانعدامها في كثير من الأحيان.

**ج-المعوقات الاجتماعية:** يمكن حصر أهم المعوقات الاجتماعية لعملية التفاعل الصفي فيما يلي:

• الظروف الاجتماعية الصعبة للتلاميذ تؤثر على عملية التفاعل الصفي.

• ضعف المكانة الاجتماعية للمعلم.

• سوء التكيف داخل حجرة الدرس نتيجة للتباين في المستويات الاجتماعية للتلاميذ.

• تأثير جماعة الرفاق على بعض التلاميذ وانحراف سلوكهم تجاه التفاعل الصفي سلبا.

• عدم اهتمام أولياء الأمور بتحصيل أبنائهم الدراسي، ومتابعة سلوكهم داخل المؤسسة التربوية، بل التخلي في أحيان كثيرة عن واجبهم هذا وعدم تلبية دعوة المدرسة لهم.

• ضعف علاقة التواصل الاجتماعي بين المدرسة والأولياء، بسبب غياب إستراتيجية توعية تجاه دور كل منهما.

**3-المربي والتلميذ بين مد العنف التواصلي ومتطلبات الفعل التربوي تفعيلا وتفاعلا:**

إن تناول عملية التعليم ومشكلاته من الضرورة بمكان،لمراجعة المقاربات المطبقة في ممارسة الفعل التربوي، رغبة في تحقيق مستوى عال من الجودة في مجال التعليم،فكانت مسألة التفاعل الصفي من المسائل التي حضرت ولازالت بدراسة معمقة نتيجة لدورها في تحقيق أهداف التعليم،فالأستاذ والتلميذ والمنهاج الدراسي،أضلاع مثلث العملية التعليمية والتفاعل بين هذه الأضلاع ضروري لنجاح العملية التعليمية،يأتي المربي على رأس العملية التعليمية كونه المسير لعملية التفاعل الصفي والموجه لدفة المركب،بما يتمتع به من تكوين علمي وبيداغوجي يؤهله لهذا الدور،لكن تنامي العنف التواصلي في حجرة الدرس يؤسس إلى عدم قدرة الأستاذ على إدارة الفصل بشكل أو بآخر،مما يسترعي الدراسة والمتابعة، للوقوف على أسباب هذه الظاهرة المعقدة والتي ترتبط ارتباطا متشعب بعوامل عديدة فالتكوين

العلمي والبيداغوجي للمربي وشخصيته، والمنهاج الدراسي والمقاربة البيداغوجية المنتهجة، وحرارة الدرس والحالة الاجتماعية والنفسية للتلاميذ، والإدارة المدرسية وعلاقتها بالفعل التربوي، وجمعيات الأولياء ومساهماتها في التنسيق والمتابعة لمستوى التحصيل العلمي للتلاميذ، وتغيير سلوكياتهم في محيط المدرسة وخارجه كلها يأخذ بعضها برقاب بعض تأثيراً وتأثراً في عملية التفاعل الصفّي،" عند تناول عملية التعلم فإن من المهم معرفة دوافع المتعلمين وميولهم واهتماماتهم، كما نتناول عمليات النمو المختلفة، لأن التعلم لا يقتصر على التدريب العقلي بل لا بد من الاهتمام بالإنسان ككل من جميع جوانب شخصيته النامية"10

ورغم أهمية العوامل سالفة الذكر التي تشكل أساساً لنجاح التفاعل الصفّي، غير أننا نؤكد على دور المربي بشكل أساسي، فتكوينه العلمي والبيداغوجي وخبرته في مجال التعامل مع المواقف المختلفة تمكنه من إدارة صفيّة ناجعة وفعالة، وفي الجدول التالي نستعرض أهم السلوكيات التي يبديها التلاميذ بشكل عام، مركزين على تلاميذ المرحلة المتوسطة لما تتميز به من تدفق غريزي جامح ورغبة في التمرد، وعدم قبول تدخل الآخرين في شؤونهم التي يعتقدون أنها خاصة بهم، وإن لم يتم التعامل مع هذه المواقف من قبل المربي بحكمة بالغة قد يفقد السيطرة على إدارة صفه، وتتهار العلاقة بينه وبين تلاميذه مما قد يُحول الحصّة إلى ميدان للعنف والعنف المضاد بكل أشكاله. يؤثر مستوى ونوعية التواصل بين التلاميذ والأساتذة داخل حجرة الدرس، على عملية التفاعل الصفّي، حيث نسجل من خلال الجدول أن الأساتذة بشخصيته القوية وقدرته على الإقناع يمكنه أن يؤسس لإدارة صفيّة ناجعة وفعالة، كما يمكن لضعف هذه الشخصية ووهنها الفكري والبيداغوجي أن يُحول حجرة الدرس إلى عنف متواصل قد يكون الأساتذة فيه الجلاذ والضحية في آن واحد، وقد يتحجج الكثير من الأساتذة بحالة العنف المسجل وعدم القدرة على إدارة الصف بضعف وسائل الردع المنتهجة ضد التلاميذ وخاصة منع العقاب البدني، وهذه الحجة مردود عليها لأنها وسيلة الضعيف الذي لا طاقة له بأن يفرض سلطته على الصف المكلف بإدارته من خلال ما يتمتع به من إقناع علمي وفكري وثقافي يشد إليه طلابه ويرفع من دافعيتهم في

10 عبد الله الرشدان ونعيم جعيني، المدخل على التربية والتعليم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 2006، ط5، ص220.

التعلم من خلال حبهم لأستاذهم، فتنمية العلاقة الاجتماعية والإنسانية بين الأستاذ وتلاميذه تُمهّد لنجاح العملية التعليمية، غير أننا لا نخفي أنه في حالات يكون الأستاذ أمام عينة من التلاميذ يجد نفسه مضطراً لاستعمال أدوات ردع للمحافظة على النظام

سلوك التلميذ	الأسباب المحتملة
عدم الاهتمام واللامبالاة	- طريقة الأستاذ في تقديم الدرس. - ضعف شخصية الأستاذ مع طلابه. - تجهيز القسم غير ملائم. - شعور التلميذ بعدم كفاية المعلومات العلمية المتحصل عليها، أو أنها فوق مستواه العقلي ولا يستطيع إدراكها.
العصبية المفرطة والتوتر	- عوامل خارجية تتعلق بالتربية النفسية للتلميذ. (الأسرة، المجتمع). - التعامل الفظ والقاسي للأستاذ مع تلاميذه.
عدم الانضباط والتمرد	- شخصية الأستاذ الضعيفة. - جهل التلميذ لأهداف ما يدرسون وأهمية موضوع دراستهم. - عدم تمكن الأستاذ من المادة الدراسية المكلف بتدريسها. - حجرة الدراسة غير ملائمة (حالة الكراسي والطاولات، تزيين القسم، وضعية الجلوس...). - المبالغة في سن قوانين جد صارمة لا تراعي النمو الفسيولوجي والنفسي للطلاب في هذه المرحلة. (منع الطلاب من القيام ببعض الأنشطة الرياضية أو الترفيهية،... الخ).
التأخر والغيابات المتكررة	- الخوف من المعاملة القاسية للأستاذ نفسياً وجسدياً. - عدم القدرة على التواصل مع الأستاذ من جهة وزملائه من جهة أخرى. - ضعف الطاقم الإداري على ضبط السير الحسن للمؤسسة. (التسيب)
عدم المشاركة في الأنشطة الصفية.	- شعور التلميذ بعدم أهمية ما يُقدم عليه. (أنشطة غير ملائمة لمستواه العلمي أو العمري). - شعوره بتحيز الآخرين ضده. (التمييز في معاملة التلميذ) - الخوف من تأنيب الأستاذ في حالة ارتكابه خطأ في النشاط. - عدم التجانس في المستوى الاجتماعي بين الطلاب مما يؤدي إلى تدني مفهوم الذات.
التشويش	- ضعف في شخصية الأستاذ (لا يحظى بالقبول من طرف التلاميذ). - انعدام الأنشطة اللاصفية في المؤسسة مما يولد لدى التلاميذ الرغبة في تفرغ شحنة الضغط النفسي داخل الفصل. - مبالغة الأستاذ في انتهاج مدخل التسامح مع التلاميذ لدرجة تغيب فيها حدود العلاقة بين الطرفين.
العدوانية تجاه الآخرين	- التنشئة الاجتماعية للتلميذ وجماعة الرفاق. - الشعور بالتهميش والازدراء من طرف الأستاذ أو بعض زملائه في الفصل. - المعاملة القاسية من طرف الإدارة المدرسية وحرمان التلاميذ من التعبير عن آرائهم بحرية.

داخل الحجرة، وهنا تتجلى قدرة الأستاذ على اتخاذ القرار المناسب للموقف المناسب، وبالتالي يرفع من أسهم احترام طلبته ويعزز لديهم قيما جديدة تعمل على تغيير سلوكياتهم مستقبلا نحو الأفضل، فتعزيز السلوكيات الايجابية لدى الطلاب يساهم في انكفاء وزوال النقيض، لذلك تشجع النظرية السلوكية "استخدام التعزيز والتشجيع للسلوك السليم لا استخدام العقاب لسلوك سيئ، وذلك لأن العقاب يولد المقاومة والرفض، وإذا كان العقاب يمكن أن يوقف السلوك فإنه في الوقت نفسه يمكن أن يتسبب في مشكلة أخرى، من مثل أن السلوك لا يوقف دائما إلا باستخدام العقاب وتكراره"<sup>11</sup>.

إن فهم التلاميذ لأهداف وأهمية ما يدرسون يعزز لديهم الشعور بحب الإطلاع وزيادة التحصيل المعرفي، "كما أنهم كثيرا ما يتساءلون عن أسباب دراستهم لموضوع ما وأهميته، وذلك يعني أنهم في حاجة إلى معرفة أهداف التدريس"<sup>12</sup>. فكلما شعر التلاميذ بتعزيز الثقة بينهم وبين أستاذهم، فعندما تسود الثقة داخل العمل الجماعي يؤدي ذلك إلى نمو الجانب العاطفي<sup>13</sup> لدى التلاميذ وتدعيم دافعيتهم للتعلم مما يسهل دمجهم في نظام الصف، بل يتحولون إلى مدافعين على سيادة النظام الصفي من أجل تحقيق أهدافهم التي صاروا جزءا منها وهي جزء منهم.

مما سبق الإشارة إليه يمكننا أن نسجل التوجه الحقيقي لمعنى إدارة الصف بشكل فعال، فالتلاميذ يعتبرون شركاء حقيقيون في هذه الإدارة، وبالتالي فالأستاذ الناجح هو من يدير العملية رفقة شركائه لتحقيق غايات وأهداف محددة تم الاتفاق عليها مسبقا، وهذا ما يعتبر الآن وعلى المستوى العالمي توجها استراتيجيا في إعداد المدارس ونظم التعليم في العالم، فهذا مجلس إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرون في الولايات المتحدة الأمريكية يقرر "أن التلاميذ يجب أن يكونوا قادرين على الربط، بين ما يتعلمونه وما يحدث أو يمكن أن يحدث في العالم الحقيقي، وهذا أحد التحديات التي يواجهها المدرسون—أن يشرحوا لتلاميذهم قيمة ما يتعلمونه"<sup>14</sup>

<sup>11</sup> يوسف قطامي ونايفة قطامي، مرجع سابق، ص380.

<sup>12</sup> صالح على فضالة، مهارات التدريس الصفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص213.

<sup>13</sup> Ahmed tessa, une innovation pour l'école du XXI éme siècle. E.M.E.la PREPARATOIRE EDITIONS, alger. 2010. p73

<sup>14</sup> فرانك وثر و آخرون، إعداد المدارس ونظم التعليم للقرن الحادي والعشرون، ترجمة محمد نبيل نوفل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2008، ص30.

كما أن برمجة أنشطة لا صفية في المؤسسات التعليمية، تعتبر سندا قويا لنجاح النشاط الصفي وتساهم في تفرغ شحنة الضغط المتولدة عن حالة الجد والانضباط، التي نطالب التلميذ بالمحافظة عليها أثناء قيامه بالنشاط الصفي، ولعل الاكتظاظ في الأقسام حيث بلغ في بعض المتوسطات والثانويات أكثر من 45 تلميذا في القسم الواحد، ناهيك عن الأقسام الدوارة التي لا تملك فصولا في المؤسسات، مما يجعلها في حالة حركة مستمرة متنقلة من قسم لآخر حسب توقيت زمني خاص بها مما يولد عدم الشعور بالاستقرار، وأيضا عدم تحمل المسؤولية من خلال العبث بمقتنيات الأقسام التي يدرسون فيها، كإجراء انتقامي لعدم امتلاكهم قسما خاصا بهم هذا من جهة ومن جهة أخرى لصعوبة التعرف على الفاعل في هذه الحالة، فتمزيق الملصقات الخاصة بتزيين الأقسام وتخريب الطاولات وأجهزة التدفئة إلى غيرها من الممتلكات في المدرسة أصبحت ظاهرة يصعب السيطرة عليها، في ظل الاكتظاظ المسجل وصعوبة التحكم في عواقبه، أما ظاهرة الكتابة على الجدران وفي دورات المياه والأقسام، فهي عامة على جل التلاميذ الذين يعانون من انعدام الأنشطة اللاصفية في مدارسهم والتي تمكنهم من التعبير عن آرائهم سواء بالرسم أو المسرح أو المجالات أو الإذاعة المدرسية، والفرق الرياضية المختلفة بما تحققه من ترفيه وتنافس بين الطلاب يمكنهم من اكتساب مهارات خاصة وقيم، وهذا ما أشار إليه التقرير العالمي حول العنف والصحة والمنظم من طرف منظمة الصحة العالمية بجنيف عام (2002)، حيث جاء فيه "يمكن لأنشطة خارج المناهج كالرياضة والترفيه، والفن والموسيقى والمسرحيات، وإنتاج رسائل الأخبار أن تقدم للمراهقين فرص المساهمة والمشاركة واكتساب لفعاليات المجموعة البنوية".<sup>15</sup>

4-مقترحات لتحقيق إدارة صفية ناجحة: مما لا شك فيه أن الإدارة الصفية تعتبر المرأة العاكسة لوضعية التربية والتعليم في أي نظام تربوي، فهما جندنا من إمكانات مادية لتحقيق نتائج جيدة في مجال التربية والتعليم إن لم تكن مدعمة بإدارة صفية ناجحة لم يحقق هذا النظام التربوي الغايات والأهداف التي نشأ من أجلها. ومع بداية العقد الأخير من القرن الماضي بدأت الأصوات ترتفع مُعلنة تدهور مستوى الإدارة الصفية في المدرسة الجزائرية معللين ذلك بعدة أسباب، كتغير نمط التنشئة

15 منظمة الصحة العالمية، التقرير العالمي حول العنف والصحة، الفصل الثاني(عنف الفتيان)،جنيف،2002،ص46.

الاجتماعية وتدني قيمة التعليم في نظر المجتمع وضياع هوية المعلم في أتون انقلاب مجتمعي في ظل رياح العولمة والانفتاح الإعلامي على الفضاء الخارجي، وما نتج عنه من تغير في سلوكيات تلاميذنا وطلابنا، أثرت على السير الحسن والانضباط داخل حجرات التدريس وصار الأساتذة خاصة المبتدئين في التعليم يشكون من صعوبة التحكم في الفصل الدراسي، وأن أدوات الردع الواجب تطبيقها قليلة أو شبه معدومة، فصار الأستاذ في كثير من الحالات بمظهر الضحية والجلاد في نفس الوقت، وفي هذا المقام الذي نستعرض فيه الحالة التي وصلت إليها الإدارة الصفية في المدرسة الجزائرية، نشير بكل وضوح أن التغيرات التي حدثت في المجتمع متأثرة بالتحويلات العالمية هي ضرورة لا بد منها وهي حتمية اجتماعية، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، ماذا أعدنا لهذا التغير من استراتيجيات للاستفادة من جوانبه الايجابية وتجنب آثاره السلبية؟ فتغير سلوك الطلاب في المدارس نتيجة لما يشاهدون ويلحظون من تغير في عالمهم المحلي والعالمي، ليس بالضرورة ذو أثر سلبي بل على العكس قد يساهم في نوع من الثقافة الايجابي والذي يعتبر من أهداف الإصلاح التربوي الأخير، في تكوين "مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري قادر على فهم العالم من حوله والتكيف معه والتأثير فيه، ومتفتح على الحضارة العالمية"<sup>16</sup>.

لتحقيق إدارة صفية ناجعة يجب إتباع جملة من الإجراءات الضرورية تخص المجالات التالية:

#### 1-4 المجال التربوي:

-وضع شروط صارمة في الالتحاق برتبة أستاذ في التعليم بالمدارس العليا للأساتذة، والأساتذة الخاضعين للتوظيف المباشر عبر مسابقة وزارة التربية، يكون للجانب النفسي والاستعداد للقيام بمهمة الأستاذية أهمية كبيرة، تسند للجنة من المختصين في علم النفس والاجتماع والصحة العمومية للتحقق من كفاءة المرشح لممارسة هذه المهنة، ولا يكون الالتحاق بمهنة الأستاذية من أجل تجنب شبح البطالة فقط.

<sup>16</sup>القانون 04-08 مؤرخ في 2008/01/23 المتضمن القانون التوجيهي للتربية.

-في مجال التكوين يخضع الأساتذة المتربصين والممارسين من حين لآخر لدورات في كيفية الإدارة الصفية تكون مجالاً لتبادل الخبرات بينهم<sup>17</sup>، وتكون مُتوجة بشهادات تفوق تُحفز الأساتذة على بذل المزيد من الجهد للتحصيل العلمي في هذا المجال.

-إشراك التلاميذ في إعداد خطة الدرس، وتنظيم الحجرة انطلاقاً من وضعية الجلوس، وإن أمكن استشارة التلاميذ حتى في اختيار اللون المناسب للحجرة.

-تفعيل دور مستشاري الإرشاد والتوجيه المدرسي، وتعميم وجودهم على مستوى مراحل التعليم بجميع أطواره ولا يقتصر وجودهم على الثانويات فقط.

#### 2-4 المجال الإداري:

-تنظيم دورات تدريبية لفائدة المدراء ومستشاري التربية والمساعدات التربويين، حول الإدارة الصفية، وإبراز دور الإدارة في تحسين شروط التفاعل الصفّي.

-استحداث شهادات وجوائز تحفيزية للمؤسسات، التي تسجل قدراً من الانضباط وحسن العلاقة الإنسانية مع التلاميذ.

#### 3-4 في المجال الفيزيقي:

-العمل على القضاء على الاكتظاظ داخل حجرات الدرس، بتحديد عدد التلاميذ في الأقسام التربوية.

-السهر على التجهيز الجيد للمؤسسات بالوسائل البيداغوجية المساعدة على القيام بالنشاطات الصفية في أحسن الظروف.

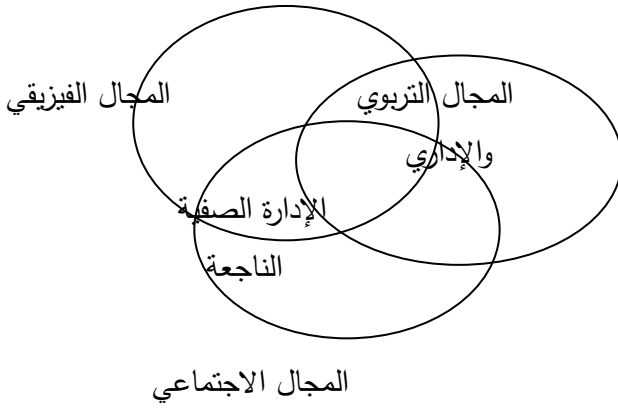
-إعطاء أهمية بالغة للتخطيط الهندسي عند إنجاز البناءات المدرسية، يراعي النمو النفسي والفسولوجي للتلاميذ.

#### 4-4 في المجال الاجتماعي:

- حث جمعيات أولياء الأمور على التواصل الجيد مع المدرسة، من خلال عقد اللقاءات الدورية، والاطلاع على ظروف عمل الطلبة والأساتذة.

- المشاركة الفعالة في البحث عن حلول ناجعة للتغيير السلبي في سلوك التلاميذ.

<sup>17</sup> Lorraine Lamoureux et autres, LA GESTION DE CLASSE ET LES TIC : AU SERVICE DU PERSONNEL ENSEIGNANT DÉBUTANT, La vie pédagogique, N119, Québec, avril\_mai 2001.p46.



مخطط توضيحي لعوامل نجاح الإدارة الصفية